الرِّسَـــالة ٢٨٠

أنَا سفيرٌ فى سَلاسِلَ

(Arabic – I am an ambassador in chains)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **أنَا سفيرٌ فى سَلاسِل**

ومِنْ رسَالةِ بُولسَ الرّسُول إلى مُؤمِنِى أفسُسَ الأصْحَاح السّادِس نَقرَأ الأعْدَادَ مِنَ الثامِن عَشَرَ إلى العِشْرِينَ:

"مُصلين بكلِّ صَلاةٍ وطِلبةٍ كلّ وقتٍ فِى الرُّوح. وساهِرينَ لِهذا بعَيْنِهِ بكلِّ مُواظبةٍ وطِلبَةٍ. لأجل جَميع القدِّيسينَ ولأجلِى. لِكَىْ يُعْطَى لِى كلامٌ عِنْدَ افتِتاح فمِى. لأعلِمَ جَهَاراً بسرِّ الإنجيل الذِى لأجلِهِ. أنَا سفيرٌ فِى سَلاسِلَ. لِكَىْ أجاهِرَ فيهِ كَمَا يَجبُ أنْ أتكلمَ".[١]

قرَأتُ قِصّة مُؤثِرة فِى إحْدَى المَجَلاتِ الأمْريكيّةِ المَسيحيّةِ لِزَوْجَةٍ كتبَتْ تقولُ: اسْمَحْ لِى أنْ أقدِّمَ إليكَ صِفَاتٍ لأحَدِ الرِّجَال: إنّهُ طويلُ القامَةِ أزْرَقُ العَيْنيْن. رَجُلُ أعْمَال نَاجح. أبٌ لطيفٌ مَحْبُوبٌ. عُضْوٌ مَعْرُوفٌ بالكنيسَةِ. لا أظنُّ أنّ تِلكَ الصِّفاتِ تعْطيكَ انطبَاعاً أنّهُ أحَدُ المُجْرمينَ. ولكِنْ إنْ قدّمْتُ صِفَاتٍ أخْرَى مِثْلَ هذِهِ: أنّهُ عَاطِلٌ فقيرٌ مُحتاجٌ مُتمَرِّدٌ قذِرٌ حقيرٌ غَيْرُ مُثقف. لمْ يُكمِلْ أىّ مَرْحلةٍ تعليميّة. فهلْ ذلِكَ يُعْطيكَ انطبَاعاً آخرَ؟. وَهُوَ أنّ النّاسَ ذوى المكانَةِ الرفيعَةِ ليْسَ عِنْدَهُمْ تِلكَ المَشَاكِل التِى ذكرنَاهَا؟. هذِهِ كَانَتْ فِكرَتِى عَنْ المُجْرمينَ حتى طرَقَ يَوْماً أحَدُ رجَال البُوليس بَابَ بَيْتِى الفَاخِر وسلمَنِى ورَقة تشيرُ إلى أنّ زَوْجى اختلسَ كَماً ضَخْماً مِنَ المَال.[٢]

تبَيّنْتُ فجْأة أنّ المُجْرمَ المُشَارَ إليْهِ هُوَ الرّجُلُ الذِى أحْبَبتهُ وتزوجته. هُوَ الوَالِدُ العَزيزُ لأوْلادِى. أدْركتُ تِلْكَ اللحْظةِ أنّ المُجْرمينَ بَشَرٌ عَاديُّونَ وليْسَ كَمَا كنْتُ أتخَيلُ. وتوَالتْ المَشَاكِلُ فكلُّ مَا نَملِكُ تجَمّدَ ولمْ يَعُدْ مَا نَملِكهُ مِنْ حقِنَا الإنفاقُ مِنْهُ. سِوَى مَا بحَافِظةِ نقودِى لأنفِقَ على أوْلادِى ولِدَفع الفوَاتير المَطلوبَةِ ولوْلا وُجُود والِدتِى مَعِى فِى ذلِكَ الوقتِ لِزيَارتِى لصَادَفتُ أسْوَأ العَواقِب. كَانَ وُجُودُهَا استجَابَة لِصَلاةٍ لمْ أكنْ بَعْدُ صليتهَا. لقدْ أصبْتُ بآلام شَديدَة فى صَدْرى لمْ تنقطِعْ. ولمْ أكنْ على استِعْدَادٍ أنْ أرَى مَشَاكِلَنَا مَعْرُوضَة ومُذاعَة فِى الصُّحُف.[٣]

تحَدثتُ كثيراً مَعَ نفسِى. ومَعَ إلهِى. كيْفَ حَدَثَ هذا؟. ولِمَاذا؟. أذكرُ أنّنِى رفعْتُ قلبِى إلى اللهِ قائِلة: ربِّى أيْنَ كنْتَ عِنْدَمَا حَدَثَ ذلِكَ؟. لِمَاذا لمْ توقِفهُ ربِّى؟. لِمَاذا يَحْدُثُ ذلِكَ دُونَ عِلمِى؟. فاذا بالإجَابةِ تأتينِى: هذا مَا حَدَثَ ولا يُمكِنُ تغْيِيرُهُ. ضَعِى ثقتِكِ فىّ أنا. لنْ أترُكِكِ. اختفَى زَوْجِى لِمُدّةِ عَام. وكَانَ أسْوَأ أمْر صَادفنِى هُوَ كيْفَ أخْبرُ أولادِى عَنْ اختفَاءِ أبيهِمْ. لمْ أجدْ شَيْئاً مُناسِباً أقولهُ لهُمْ إلا أنّ أبَاهُمْ أحَسّ بمَشَاكِلَ ورَأى أن يَذهَبَ بعيداً لِفترَةٍ. وأكّدْتُ لهُمْ أنّهُ يُحبُّهُمْ. كَانَ اللهُ رَحيماً بنَا. يَسّرَ كلّ أعْوَازنَا وأحَاطنَا بأنَاس مُحبِّينَ اعتنوا بنَا. وأحْسَسْتُ بأنّ إلهِى يُحيطنِى بحُبِّهِ وعِنَايتِهِ أكثرَ مِنْ أىِّ وقتٍ مَضَى. لقدْ ألقوا القبْضَ على زَوْجِى فذهَبْتُ إليْهِ بالطائِرَة.[٤]

لأوّل مَرّة فِى حيَاتِى أذهَبُ إلى السِّجْن. ولا أنسَى على الإطلاق وقوفِى فِى الصّفِ تائِهَةِ البَصَر. وأنَا فِى ذهُولٍ أنتظِرُ دَوْرِى. شَعَرْتُ بالارتبَاكِ والخِزْى والذِلةِ. وبَعْدَ طولَ انتِظار وكَانَ أملِى أنْ أتقابلَ مَعَهُ. ولكِنْ مَا حَدَثَ أنّهُ مِنْ خِلال حَاجز زُجَاجِىٍّ لا أدْرى أكَانَ هذا الحَاجزُ لِحمَايتِى مِنْهُ أوْ لِحمَايتِهِ مِنّى. وعَنْ طريق سَمّاعَةِ التليفون دَارَ حَديثِى مَعَهُ لِدقائِقَ. ومِنْ خلفِى شَخْصٌ آخَرُ يَنتظِرُ دَوْرَهُ. وسَمِعْتُ صَوتاً بَارِداً يُنَبهُنِى أنّ وقتِى انتهَى بَعْدَ ذلِكَ نقلوا زَوْجِى إلى ولايَةٍ أخْرَى دُونَ ذِكر الأسْبَاب بَعْدَ ذلِكَ نقلوهُ إلى سِجْن أخَر سُمِح لِى بزيَارتِهِ مِنْ خِلال الحَواجز الزّجَاجيّةِ وبإستخْدَام التليفون. ومِنَ المُستَحيل التعْبيرُ عَن الإحْسَاس الأليم. حينَ أسْمَعُ الأبْوَابَ الضّخْمَة تفتَحُ وتغلقُ. والقِضبَانَ الحَديديّة تصْطكُّ بَعْضُهَا مَعَ بَعْض. كَانَ قلبى يَرتجفُ إذ يَغلِقونَ بَابَ غُرْفةِ الزّيَارَةِ خلفِى.[٥]

---

[١] إنجيل لوقا ٢٢: ٣١ – ٣٢ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل يوحنا ١٢: ٦

[٣] سفر إشعياء ٦٥: ٢٤

[٤] سفر يشوع ١: ٩

[٥] سفر أعمال الرسل ١٦: ٢٣ – ٢٤

حَضَرْتُ أخيراً المُحَاكمَة النّهائيَة التِي استمَرّتْ عَشَرَ دَقائِق بإعْلان أنّ زَوْجِي وُجدَ مُذنباً مُتهَماً بالاخْتلاس. وبدُون وَدَاع أوْ ترتيبٍ لِمُستقبلِي ومُستقبل أوْلادِي أوْدَعُوهُ سجْنَ الولايَة. ولمْ أكنْ أدْرِى كَيْفَ أتعَاملُ مَعَ السّلطاتِ المُختصّة. كانَ علىّ أنْ أتعلمَهَا بنفسِي. تعلمْتُ أنْ أذهَبَ كلّ مَرّةٍ لِلزِيَارَةِ فِي زىٍّ حَسَن وأظهَرُ أنّنِي مُتمَالِكَة الأعْصَابِ. وإلا دَفعَ السّجينُ الثمَنَ بفقدِ الامتيَازَاتِ المَمنوحَةِ لهُ. وأفهَمنِي قسِّيسُ السِّجن أنّهُ مِنَ الأفضل مُشَارَكَة زَوْجِي فِي بَعْض الأمُور العَائليّةِ دُونَ إغْرَاقِهِ فيهَا. وحذَرَنِي مِنْ حَجْبِ الأمُور الخَطِيرَةِ التِي تحْدُثُ فِي العَائِلةِ مِثل مَوْت أحَدِ الأقارب. إنّ بَعْضَ المَسْجُونِينَ يَحْدُثُ لهُمْ تغْيِيرَاتٌ فِي الأمْزجَةِ والطبَاع دَاخِلَ السِّجْن.[1]

لمْ يُحَدِثنِي أحَدٌ عَنْ كيْفيّةِ التعَامُل مَعَ أوْلادِي. واكتشَفتُ أنّ قولَ الحَقِيقةِ أفضلُ وَسيلةٍ. فقلتُ لهُمْ أنّ أبَاهُمْ أخَذ مَالاً ليْسَ مِنْ حقِهِ. لِذلِكَ كَانَ لا بُدّ مِنْ قضَاءِ بَعْض الوقتِ بالسِّجْن. سألونِي: حتى متى؟. قلتُ لهُمْ عَشَرَ سَنَوَاتٍ. وعِنْدَمَا نَظرُوا إلىّ بذهُولٍ قلتُ لهُمْ: قدْ تنقصُ المُدّة لوْ أحسَنَ التعَامُلَ بالسِّجن. سألونى: هلْ يَحْصُلُ على كِفايتِهِ مِنَ الطعَام؟. هلْ مِنْ حقِهِ الخُرُوجُ خَارجاً؟. هلْ هُوَ مُقيّدٌ بالسَلاسِل؟. هلْ لديْهِ مِعْطفٌ يقيهِ مِنَ البَرْدِ؟. هلْ ستختلِفُ شَخْصيتهُ عِنْدَ خُرُوجهِ مِنَ السّجْن؟. متى نذهَبُ لزيَارتِهِ؟. كثيرُونَ شَاركونِى دُمُوعِى. أجدُهُمْ بجَانبى إنْ طلبتهُمْ وإنْ لمْ أطلبْ. مَا زلتُ أتعلمُ كيْفَ أتغلبُ على الألَم والخَوْفِ والحَيْرَة. نَحْنُ بنِعْمَةِ اللهِ وَحْدَهَا نتغلبُ على الصّعُوبَاتِ التِى تلاقينَا. ومِنْ قرَاءَاتِى عَرَفتُ أنّ السّجُونَ لا تقلِلُ مِنَ الجَرَائِم. كمْ مِنْ لَيَالٍ قضَيْنَاهَا فِي انتظار المُكالمَةِ المَسْمُوح بهَا دُونَ طائِل. لأنّ زَوْجِي أخَذ مكَانَهُ فِي الصّفّ بَعيداً لأنّهُ جَاءَ إلَيْهِ مُتأخِراً. إنّ السِّجْنَ ليْسَ عِقاباً لِمَنْ هُوَ سَجينٌ فقط بلْ ولِعَائلتِهِ. كنْتُ أتمنّى أنْ أقولَ أنّ قِصتِى قدْ انتهَتْ وأنّنَا نَعيشُ سُعَدَاءَ. نَحْنُ على أيِّ حَالٍ فِي بَدْءِ الطريق ولسْتُ أعلمُ ولكِنّ اللهُ يَعلمُ كلّ شَىْءٍ. ولكِنْ مَا أعلمُهُ أنّنَا نَستطيعُ مُواجَهَة الغَدِ لأنّ إلهَنَا حَىٌّ.[2]

حينَ قرَأتُ تِلكَ القِصّة المُؤثِرَة أحْسَسْتُ كمْ عَانَى المَسيحيُّيونَ الأوَائلُ. الذينَ زَجّ بهمْ أعْدَاءُ المَسيح فِي السُّجُون. لا لِسَبَبٍ إلا لأنّهُمْ أبَوْا أنْ يُنكِرُوا إيمَانَهُمْ بفاديهِمْ. وإلى وقتِنَا هذا كثيرُونَ مِنَ المَسيحيِّينَ فِي بلادٍ شتى مِنَ العَالم وضعُوهُمْ بالسُّجُون. لأنّهُمْ لمْ يَتوقفوا عَن التبْشير باسْم المَسيح. ولنْ يتوقفوا. إنّ بُولسَ الرّسُولَ خَدَمَ سَيِّدَه فِي السِّجْن. لقدْ كَانَ وَهُوَ مُكبلٌ بالسَلاسِل يُملِي على أصْدِقائِهِ رَسَائِلهُ المُشَجِّعَة لِلكنَائِس. ويَحُثُّ القدِّيسينَ كَىْ يثبُتوا فِي الإيمَان ويفرَحُوا فِي الرّبِّ. "الذِى مِنْ أجلِهِ هُوَ سَفيرٌ فِي سَلاسِلَ". والذِى فيهِ "احتملَ المَشقاتِ حتى القيُودِ كمُذنِبٍ". لكنّهُ يُؤمِنُ أنّ "كلِمَة اللهِ لا تقيّدُ". لقدْ كتبَ إلى مُؤمِنِى أفسُس ليُصلوا مِنْ أجلِهِ لِكَىْ يُعطيَهُ الرّبُّ كلاماً عِنْدَ افتتاح الفَم. ليُعْلِمَ جهَاراً بسرِّ الإنجيل الذِى مِنْ أجلِهِ وضَعُوهُ فِي سَلاسِلَ. وفِى رسَالتِهِ الثانيَةِ إلى تلميذِهِ تيمُوثاوس يُشيرُ إلى القيُودِ قائِلاً لهُ: "لا تخْجلْ بشَهَادَةِ رَبِّنا ولا بِى أنَا أسيرُهُ. بلْ اشْتركْ فِي احتمَال المَشقاتِ لأجل الإنجيل". ثمّ يقولُ: "ليُعْطِ الرّبُّ رَحْمَة لبيْتِ أنيسيفورُسَ. لأنّهُ مِرَاراً كثيرَة أرَاحنِى. ولمْ يَخْجلْ بسِلسِلتِى".[3]

إنّ السّلاسِلَ نوْعَان نَوْعٌ مَرئِيٌّ يَضعُهَا الحَاكمُ البشَرِىّ فِي أيْدِى مَنْ أذنبُوا. وأحْيَاناً فِي أيْدِى مَنْ لمْ يَرتكبُوا ذنباً. ويلقونَ بهمْ فِى السّجُون الأرْضيّة. ونَوعٌ غيْرُ مَرئِىٍّ. يقيدُ بهِ إبليسُ كثيرينَ مِنَ النّاس. بَعْضُهُمْ دَاخِلُ السّجُون وبَعْضُهُمْ أفلتَ مِنْ يَدِ العَدالةِ الأرْضيّة. ولكنْ تنتظِرُهُمْ جميعاً سَلاسِل يقيّدُونَ بهَا بأمْر العَدَالةِ السّمَاويّة. حَسَبَ مَا جَاءَ بإنجيل متى الإصْحَاح الثانِى والعِشْرِينَ إذ يَسْمَعُ كلُّ وَاحِدٍ مِنهُمْ صَوْتَ مِلكِ المُلوكِ ورَبِّ الأرْبَابِ يقولُ: "اربُطوا رجليْهِ ويَديْهِ وخُذوهُ واطرَحُوهُ فِي الظلمَةِ الخَارجيّةِ هُناكَ يكونُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنَان".[4]

أدْعُوكَ أخِى لِتشترِكَ مَعِى فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِىّ.. آتِى إليكَ مُنكَسِراً. أسألكَ غُفرَاناً لِخَطايَاىَ التى لا تحْصَى. وتطهيراً مِنْ أثامِى وهِىَ لا تعَدُّ. اشكرُكَ مِنْ أجل صليبِ ابْن مَحبتِكَ. فبواسِطتِهِ أنالُ تحْرِيرِى وتنفكُّ قيُودِى. وأحْيا مُتمتِعاً بحُريّةِ مَجدِ أوْلادِ الله. مَوْلاىَ أرْجُوكَ أنْ تؤيدَنِى بقوّةِ رُوحِكَ. بكلّ اتِضَاع أمَام جَلالِكَ وبقلبٍ مَرفوع إليكَ أقولُ: زِدْ إيمَانِى رَبِّى. وهَبنِى حِكمَة مِنْ لدُنِكَ. هأنذا أرْسِلنِى واستخْدِمنِى لِمَجدِ اسْمِكَ. أرفعُ صَلاتِى فِى اسْم يسُوعَ البَارّ. واثِقاً مِن استجَابتِكَ. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرهَا ستجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل متى ٢٥: ٣٦
[2] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤: ١٣
[3] رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ٨ & ١٦ & ٢: ٩ – ١٠
[4] إنجيل متى ٢٢: ١٣